

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[428] وبداية القصّة هذه مشابهة لبداية قصة عاد "قوم هود" وبداية قصة نوح وقومه، وهي تكشف كيف يتكرر التاريخ، فنقول: (كذبت ثمود المرسلين)... لأنّ دعوة المرسلين جميعاً دعوة واحدة، فتكذيب ثمود نبيّهم صالحاً تكذيب للمرسلين أيضاً... وبعد ذكر هذا الإجمال يفصّل القرآن ما كان بين صلاح وقومه، فيقول: (إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون)... لقد كان النبيّ صالح هادياً ودليلاً لقومه مشفقاً عليهم، فهو بمثابة "الأخ" لهم، ولم يكن لديه نظرة استعلائية ولا منافع ماديّة، ولذلك فقد عبّر القرآن عنه بكلمة "أخوهم"... وقد بدأ دعوته إيّاهم كسائر الأنبياء بتقوى الله والإحساس بالمسؤولية!... ثمّ يقول لهم معرفاً نفسه: (إنّى لكم رسول أمين) وسواي معكم شاهد مبين على هذا الأمر (فاتقوا الله وأطيعون) إذ لا أريد إلاّ رضا الله والخير والسعادة لكم... ولذلك فأنا لا أطلب عوضاً منكم في تبليغي إيّاكم... (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلاّ على رب العالمين) فأنا أدعوكم له، وأرجو الثواب منه سبحانه... كان هذا أوّل قسم من سيرة صالح التي تلخصت في دعوته وقومه وبيان رسالته إليهم... ثمّ يضع "صالح" أصبعه على نقاط حساسة من حياتهم، فيتناولها بالنقد ويحاكمهم محاكمة وجدانية، فيقول: (أتركون فيما هنا آمنين). وتتصورون أن هذه الحياة المادية التي تستغفل الإنسان دائمة له وهو خالد فيها! فلذلك تأمنون من الجراء، وأن يد الموت لا تنوشكم؟! وبالأسلوب المتين، الأسلوب الإجمال والتفصيل... يشرح النبيّ صالح لقومه تلك الجملة المغلقة والمجملّة بقوله: وتحسبون أنّكم مخلّصون (في جنات وغيون